

المرأة في النحت السوري الهلنستي

طالبة الدكتوراه: نور عبد السلام قطرميز

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

إشراف: الأستاذ الدكتور محمد الزين

ملخص البحث باللغة العربية

اهتم الفنان السوري في العصر الهلنستي بالإنسان وواقعه، ووصل إلى درجة عالية من الإبداع، وظهر التأثير الإغريقي واضحاً في أعماله الفنية، فأخذ يحاول الوصول إلى إيجاد نموذج أعلى للجمال المثالي للمرأة، وهناك شواهد رائعة جسدت ما وصل إليه الفنان السوري من إبداع في المدن الهلنستية الشهيرة كأنطاكية و أفاميا ودورا وأروبيوس واللاذقية وغيرها، وأهم المنحوتات تمثال توخي أنطاكية واسبازيا وذات الرداء المبتل وغيرها من روائع الفن السوري الهلنستي.

الكلمات المفتاحية: النحت ، المرأة، العصر الهلنستي، سورية

Women in Hellenistic Syrian Sculpture

By ph.D student : Nour Abd Alsalam Qatramiz-Faculty of Arts and Humanities of Damascus- History Department

Provisor Proffisor by ph.Doctor : Mohammad Alzain
Abstract in English:

Abstract

The Syrian artist in the Hellenistic era was interested in human kind and his Reality, The artist has reached a high degree of creativity, The Greek influence was evident in his artworks, There are wonderful evidence that embodied the creativity reached by the Syrian artist in the famous Hellenistic cities of Antioch, Apamia, Dura-Eeropos, Latakia and others. The most important Sculptures are the ststue of Toukhi of Antioch and the one with the wet robe and other master pieces of Hellenistic Syrian art.

Key words : Sculpture ,woman, Helleinstic era, Syria .

مقدمة:

يعتبر العصر الهلنستي بالنسبة للفن بمثابة نقطة تحول في تاريخ الفن السوري، إذ أنه ظهر في فترة احتكت فيها فنون الشرق بالفن الإغريقي، وتغيرت فيها شروط الحياة، وتبدل نوع التفكير، وظهرت النزعات الفردية، وازداد ميل الإنسان إلى الطبيعة، وتأثره بالعاطفة فانعكس كل ذلك في الحركة الفنية التي ظهرت في سورية في العصر الهلنستي، وفي الواقع، أخذ الفن يتحرر من الأسرار القديمة، ويتخلص من تبعيته للتعاليم الدينية، وبدأ الفن السوري في العصر الهلنستي يهتم بالإنسان وواقعه، ويعبر عن حقيقته بغرائزه وعواطفه، ومشاعره ونزعاته... بل إنه بدأ يتميز بالتعبير عن رقة شعوره وإرهاف حسه في عصر كانت فيه أنطاكية والإسكندرية ورودس وبرجام مراكز الإشعاع الفني، أخذت على عاتقها رسالة تشجيع الحركة الفنية، ومهمة توجيهها إلى تمثيل الواقع، وتصوير الحقيقة. ووصل الفنان فيها إلى درجة الإبداع خيل فيها أن الإنسان سيصل يوماً إلى درجة إمكانية منح الحياة إلى تلك التماثيل ذات التعابير الحاملة والنظرات الشاردة والملاح التي تفيض بنبضات الحياة، ومعاني التأمل ومظاهر التفكير في عصر اعتبر فيه الإنسان رمزاً للوجود ومقياساً للجمال، ووسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر، ويبدو بجلاء أن فن النحت قد تأثر في بداية هذا العصر تأثراً شديداً بتقاليد الفن الإغريقي في القرن الرابع، وهي التي تُعزى إلى أعظم مثاليه وكانوا: براكسيتلس (Praxiteles) وسكوباس (Skop) ولوسيبوس (Lysippos) إلا أنه وبمضي الزمن أدخلت على هذه التقاليد في كل إقليم تعديلات تتفق مع بيئته وظروفه، فنشأت عن ذلك عدة مدارس لكل منها مميزات في الطراز والموضوعات، وإذا كان الباحثين يستبعدون وجود مدرسة سورية هلنستية في النحت لأنهم يستبعدون أن يكون الفنان يوتوخيدس (Eutochides) قد هجر موطنه سيكيون وأقام في إنطاكية وأنشأ فيها مدرسة عندما قام بنحت تماثيل توخي إنطاكية فإن البعض الآخر يعتقدون بوجود مدرسة سورية هلنستية في النحت بشكل خاص قوامها إنتاج إنطاكية وغيرها من المدن وأطلق عليها اسم (مدرسة إنطاكية). وفي رأي هؤلاء الباحثين أن مبتكرات هذه المدرسة جمعت خصائص الفن الهلنستي المتطور. وتتخلص هذه الخصائص في نسب القامات الطويلة وتعرية الريات والنساء بشكل عام، وجعل أجسامهم ذات لحوم مكتنزة، والإغراق في إظهار معالم التهيج والانفعال على الوجوه،

ويبدو أن الفنان السوري في ذلك العصر قد تأثر بفكرة الفنان الإغريقي وروائع الفن الإغريقي فأخذ يحاول الوصول إلى إيجاد نموذج أعلى للجمال المثالي للمرأة.

أهمية البحث: تتبع أهمية البحث في كونه يلقي الضوء على أهم التطورات والتغيرات التي شهدتها فن النحت السوري في العصر الهلنستي وإظهار انعكاساتها على التماثيل التي تمثل الربيات والمرأة بشكل عام، كما أن معظم الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت هذه الفترة التاريخية قد ركزت غالباً على الجانب السياسي، وعلى الرغم من وفرة الدراسات المتخصصة بالفن الهلنستي إلا أنه لم تقرد دراسات تخص النماذج النحتية الأنثوية بل جاءت ضمن مواضيع الفن الهلنستي بشكل عام بالرغم من كونها تجسد أهم معالم فن النحت السوري في العصر الهلنستي.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى دراسة:

- 1 - معالم النحت السوري في العصر الهلنستي وأهم التغيرات التي طرأت عليه .
- 2 - أهم المنحوتات التي تمثل المرأة في سورية في العصر الهلنستي.
- 3 - الانعكاسات التي برزت على المنحوتات السورية نتيجة تمازج المفاهيم الفنية الشرقية بالمفاهيم الغربية .

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية البحث في الأهمية الكبيرة لدراسة فنون العصر الهلنستي ولا سيما فن النحت لإظهار أهم مميزات ومعالم العصر والذي يعكس لنا وبشكل جلي مدى التمازج بين الشرق والغرب في تلك الفترة ، كما يبرز لنا مدى التأثير والتأثير ويوضح التغير في طرق التفكير والمعتقدات والتي انعكست بشكل كبير على المنحوتات التي تمثل الربيات والمرأة بشكل عام.

فرضيات البحث: يقوم البحث على الفرضيات التالية:

- 1 - هل احتكت حضارات الشرق القديم بحضارة الإغريق بعد الفتح المقدوني؟ وما مدى تأثير هذا الاحتكاك على فن النحت ولا سيما النماذج النحتية التي تمثل المرأة؟
- 2 - هل انعكس تأثير بناء المدن السلوقية والمدارس الفنية ولا سيما في أنطاكية على فن النحت السوري ؟
- 3 - هل من مبتكرات وأساليب جديدة فرضت نفسها على فن النحت وبالأخص المنحوتات التي تمثل المرأة في ظل العصر الجديد ؟

منهجية البحث :

اتبعت الباحثة خلال دراستها المنهج التحليلي العلمي النقدي القائم على استنباط المعلومات من المصادر الأثرية والمصادر التاريخية الكتابية، إلى جانب المنهج الوصفي للنماذج النحتية الأثوية والتي تمثل روائع النحت الهلنستي في سورية.

عرض البحث والمناقشة والتحليل:

- تمهيد:

لئن فكر فيليب المقدوني بتحرير المدن الإغريقية من نفوذ الفرس، فإن ابنه اسكندر الكبير قد عهدت إليه الأقدار بالقيام بفتوحات لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، وأشرقت في مخيلته فكرة توحيد العالم القديم على أسس جديدة تعتمد على روابط ((الحب الشريف والزواج الطاهر والنسل المشترك)) فكان لانتصاره في معركة (إسوس ISSOS) عام 333 ق.م أثره البعيد لأنه حطم أسطورة عدم قدرة الإغريق على قتال الفرس. فقام الاسكندر ببناء مدينة جديدة قرب ساحة هذه المعركة وأطلق اسمه على هذه المدينة السورية الجديدة التي عرفت باسم اسكندرونة. وكان سلوقس من أقدر القواد المقدونيين في جيش الإسكندر تحالف فيما بعد مع بطليموس ضد أنتيجون، وبعد حروبهما ضده، وانتصارهما عليه، نال بطليموس فلسطين التي ضمها إلى مملكة البطالمة في مصر، في حين أن سلوقس استرجع بابل، وفي معركة (إيبسوس Ipsus) أحرز سلوقس انتصاراً هاماً حقق له الفوز بالقسم الشرقي من آسيا الصغرى وسورية فشكل مملكة واسعة من أعظم ممالك المقدونيين التي ظهرت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر. وأعجب ملك سورية سلوقس نيكاتور Seleucus Nicator بسياسة قائده الإسكندر الكبير، واعتبر بناءه لمدينة اسكندرونة عملاً هاماً جديراً بمتابعته، فبنى سلوقس نيكاتور مدناً جديدة حملت اسمه (مثل: السويدية) واسم أبيه أنطيوخس (مثل إنطاكية) واسم زوجته الآسيوية (افاميا) واسم امه لاوديسه (مثل اللاذقية).

وكان سلوقس نيكاتور يعتقد بأن البلاد تنطبع بالطابع الإغريقي بقدر ما يبني فيها من مدن حديثة. وكان يقيم في هذه المدن الحديثة جنود قدماء من مقدونيين وإغريق. وكان الحكام يعتمدون على هؤلاء في إدارة البلاد ومراقبة السكان اصحاب البلاد، مما جعل لهذه النهضة العمرانية أهدافاً سياسية، ومآرب استعمارية، وغايات ثقافية.

ولا بد من الإشارة إلى أن كثيراً من المدن التي اعتبرت حديثة لم تكن في الواقع سوى مدن قديمة أعيد بناؤها أو اقتصر على تغيير اسمها فقط. ومهما يكن من أمر، يمكن اعتبار أنطاكية واللاذقية وأفاميا ودورا أوروبوس مدناً حديثة أنشئت في العصر الهلنستي، فازدهر فيها الفن حتى غدت مركزاً رئيسياً من مراكزه الفنية وعُثر فيها على أروع النماذج النحتية التي تمثل المرأة بصور مختلفة. وفيما يلي استعراض لأهم هذه المنحوتات في المدن الهلنستية الرئيسية في سورية.

1- مدينة إنطاكية:

تقع إنطاكية في الشمال الغربي من سوريا عند الطرف الجنوبي لسهل العمق ويحدها شرقاً جبل سيلبيوس (Silpios) وغرباً نهر العاصي، وقد أنشأها سلوقس في العام الثاني عشر من حكمه أي في عام 300 ق.م، وأطلق عليها اسمها تخليداً لوالده أنطيوخس وسمى هذه المدينة المؤرخ (أميانوس ماركيلينيوس AMMIANUS MARCELLINUS) (درة الشرق الجميلة)⁽¹⁾ كما دفع بالإعجاب مؤرخاً آخر إلى المبالغة بالقول، (إن إنطاكية بلغت من الجمال حدّاً جعل الآلهة تتلهف للإقامة فيها)⁽²⁾

ترددت الكثير من الروايات حول نشأة إنطاكية، وتذهب بعض الروايات إلى أن الإسكندر هو الذي اختار موقع المدينة بنفسه، فقد ذكر المؤرخ ليبانيوس (Libanius)، أن الإسكندربعد أن هزم دارا في موقعة إسوس عام 333 ق.م، تقدم نحو فينيقية، ولم يلبث أن توقف في الطريق عند مكان يوجد إلى الشرق من الموقع الذي أقيمت عليه إنطاكية فيما بعد، حيث كان يوجد نبع ماء بالغ العذوبة، حتى إن الإسكندر عندما شرب منه صاح أنه يضارع لبن أمه، وأطلق على النبع اسم (أولمبياس) والدة الإسكندر، وأنه عندما رأى جمال الموقع فكر في بناء مدينة فيه، ولكن لم يكن بوسعه إيقاف سير الحملة، فاتخذ الخطوة الأولى نحو إنشاء مذبح للإله زيوس في هذا المكان⁽³⁾ ولكننا نفتقر في المصادر الأخرى أي سند لهذا الزعم بما يوحي بأنه ليس إلا وليد خيال صاحبه ليبانيوس

Ammianus Marcellinus: Tr, John C. Rolf L. C. L, 1972, XXII,9, 14. (1)

(2) داوني، جلافييل: إنطاكية القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، القاهرة 1967م، ص 71.

Libanius, Antiochikos: Selected works, tr. A. F Norman. L.C.L, 1969, 72-77, 87. (3)

- الذي اشتهر بحبه الشديد لمسقط رأسه أنطاكية - ليضفي على مدينته نوعاً من الجلال ما زهيت به المدن التي أسسها الفاتح الكبير⁽¹⁾

وكان تدشين المدن يتم بحفلة كبرى يحضرها جمهور كبير كالحفلة التي أقيمت بمناسبة تأسيس مدينة إنطاكية حضرها ملك سورية (سلوقس نيكاتور) ورجال الدين الوثنيون، ورجال السلاح وفتاة جميلة تدعى (إيماتة Aimate) تهيأت لتكون هي الأضحية نفسها، لأن اعتقادات الوثنيين القدماء كانت تتطلب تضحية فتاة عذراء جميلة لضمان حماية الآلهة للمدينة. ويعتقد البعض أن تمثال (تيكة إنطاكية) (الشكل 1) يمثل هذه الفتاة الجميلة (إيماتة) نفسها⁽²⁾ حيث يذكر المؤرخ (بوزانياس Pausanias) أن (أوتيكيدس Eutyichides) أحد تلاميذ الفنان الكبير (ليزيب Lysippe) أبدع تمثالاً جميلاً كان له صده البعيد في تاريخ الفن، الذي يمثل (تيكة Tyche) ربة سعادة إنطاكية فتاة جميلة متدثرة بثوب فضفاض أنيقصفت ثيابه وأذياله على شكل بديع وهي جالسة على صخرة بجسمها الرشيح الطويل وتلتفت إلى الجهة اليسرى، وتتطلع إلى بعيد وكأنها تشرف على أعلى جبل (سيلبيوس) على السهول الإنطاكية الخصيبة ، تمسك بيدها حزمة من سنابل القمح السوري التي ترمز إلى الخصوبة، ويتدفق نهر العاصي من تحت قدميها بحركة مسرحية على شكل غلام - شبيهاً ب(ناياد Naiade) ابنة زيوس التي كانت ترعى الينابيع وتحمي الأنهار - و بأسطاً زراعيه كأنه يسبح، أما رأسها فقد زين بتاج مصنوع على هيئة سور المدينة ويفيض وجهها بأنبل المشاعر وأرقى العواطف وأجمل التعابير⁽³⁾.

ففي هذا العمل الفني الجميل نجح الفنان في إبراز خصائص إنطاكية وعناصر زهوها، وجعله يمثل جمالها وقوتها، وخيالها وسحرها، ونهرها وجبلها، بأسلوب فني فيه جمال الصورة والمضمون، وسحر المعنى والمبنى.

(1) العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين، دمشق 1993م، دار شمال للطباعة والنشر، ص339.

(2) زهدي، بشير: الفن الهلنستي والروماني في سورية، دمشق، دت، ص11

(3) سارة، خليل: تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، 2008-2009م، ص133 زهدي،

بشير: نفس المرجع، ص17.

ويتوقع الأستاذ الكبير (شارل بيكارد ch. Piccard) أن تساعد نتائج الحفر والتنقيب على تمييز مدرسة فنية سورية تتميز نماذجها النسائية العارية بالبدانة، ويعتبر خير نماذجها الفنية تمثالاً اكتشف في دورا أوروبوس ويمثل (أفروديت تضع قدمها على ظهر سلحفاة) ومن المحتمل أن يكون هذا التمثال أحد الروائع الفنية التي أبدعتها مدرسة أنطاكية حسب رأي الأستاذ بيكارد الذي يلاحظ في هذا التمثال مبالغة في ميلان الجذع إلى الجانب توحى بالإثارة، وتدل على هوية المنشأ.

كما عثر على عدة تماثيل يعتقد بعض الباحثين بأنها من أعمال هذه المدرسة، ولعل أشهر هذه التماثيل مجموعة تمثل أفروديت وبان وإيروس (الشكل 2) وجدت في أحد معابد ديلوس، وتوجد هذه المجموعة الآن في متحف أثينا⁽¹⁾ تبدو أفروديت فيها مثلاً أعلى للجمال النسائي ويعبر وجهها عن أسمى معاني التأمل البعيد، وتبدو عارية وواقفة تستند على رجلها اليمنى وتثني ركة رجلها اليسرى مما يعطي لجسمها الممتلئ تعبيراً عن الحركة الواقفة، وقد أمسك (بان) إله الرعاة بيسراه معصم يدها اليسرى فظهر التناقض بين جسمها الجميل الناعم وبين جسمه المغطى معظمه بالوبر، وفي نظراته الشاخصة في وجه أفروديت المشرق معاني الرجاء والاستعطاف، ونرى على كتف أفروديت الأيسر إيروس ممسكاً بقرن (بان) إله الرعاة.

إن تماثيل أفروديت المكتشفة في سورية تدل على بعض الخصائص الفنية المحلية ولا سيما فيما يتعلق بامتداد الجسم ونسب أجزائه، وإبراز آثار الإثارة، وملامح الانفعال على الوجوه⁽²⁾.

2- مدينة دورا أوروبوس:

تعتبر مدينة دورا أوروبوس من أشهر مستعمرات الإمبراطورية السلوقية التي تقع شمال شرقي الصحراء السورية على الشاطئ الأيسر لنهر الفرات، وقد أقيمت على موقع

(1) العابد، مفيد رائف: المرجع السابق، ص 338.

(2) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص 19.

قرية قديمة تسمى دورا (Dura) ومعناها بالأرامية الجدار أو الديار، ويعود إنشاء هذه المستعمرة إلى 300 ق.م حين شرع نيكاتور (Nicanor) حاكم منطقة شرق سورية في إقامتها بتكليف من سلوقس الأول، وأطلق عليها اسم أوروبوس، على اسم مسقط رأس سلوقس في مقدونية، وتعد هذه المستعمرة من أفضل منشآت السلوقيين، وقد حظيت باهتمام رجال الآثار في العصر الحديث، واستمر التنقيب في موقعها لمدة 12 عاماً متواصلة⁽¹⁾

ومن أشهر المنحوتات التي عثر عليها في دورا أوروبوس تمثال لامرأة محسنة وهي قائمة على قاعدة، ورأس هذا التمثال محطم وحجمه كالحج الطبيعي، وترى المرأة ممثلة فيه، وهي ترتدي ثوباً أيونياً، ذا ثنيات شاقولية، تتحدر حتى قدميها، ثم تلتف بمعطفها الذي يخفي ذراعيها، ويجلل إحدى أذنيه رأسها، فيبدو شعرها المتموج تحته، وتمسك بيدها اليمنى حذاء عنقها، وهذا التمثال مصنوع من الجص، وقد تأثر من طول بقائه في الأرض، فنتشوه وجهه ويده، ونقصته قطعة من رداءه، غير أن صنعة هذا الرداء دقيقة جداً، وتذكرنا بتمثال شهير ابتكر في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان يمثل رمز (الحياة) على صورة امرأة ملتفة بردائها، وقد عثر على هذا التمثال في معبد أرتميس⁽²⁾، ويدل طرازه على أنه كان من صنع فنان محلي عاش في دورا في القرن الثاني قبل الميلاد⁽³⁾.

وقد وجد أيضاً في قاعة (أفروديت) من المعبد المذكور تمثال صغير لهذه الربة، وكان يتألف من عدة قطع، فقد بعضها، وهو مصنوع من مرمر باروس، ويظن أنه من صنع أنطاكية، أو صيدا، ورأسه مفقود حالياً، ويبلغ طوله الحالي (56سم)، وطوله القديم (65سم) وتبدو فيه أفروديت واقفة ومستندة على ساقها اليمنى، أما ساقها اليسرى فمثنية، ويرتكز طرف قدمها على ظهر سلحفاة (علامة من علامات أفروديت) (الشكل 3)، وهي حيوان مقدس عند الإغريق (فيميل جسمها، ويبرز كشحها الأيمن، وهي ترتدي ثوباً أيونياً مفتوحاً حول العنق بشكل كبير، وحوله نطاق حول ثدييها، وفوقه معطف يحيط

(1) فرح، أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة، 2002، ص 194-195.

(2) عبد الحق، سليم عادل: الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقي، دمشق، 1950، ص 203.

(3) العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين، ص 338.

بنصفها السفلي، ويلتف على خصرها، ثم تجتمع كتلة منه في هذه الجهة، وتجتاز من اليمين إلى اليسار جسمها، وتصعد إلى ما تحت إبطها، وهناك تمسكه يدها، ويلاحظ أيضاً أن ثنياته تجتمع على ساقها اليسرى، ويسيل قماشها على فخذها الأيسر، ويحدث ثنيات عميقة بين الساقين.

ولهذا التمثال أهمية فائقة لأنه يعطينا فكرة عن تماثل ضائع من تماثيل فيدياس العظيم، كان يمثل أفروديت وهي ترفع ساقها، وكان رأس السلسلة التي انحدرت منها تماثيل مشهورة، منها: فينوس فلورنسا، وفينوس كابو، وربة النصر الموجودة في بريسيا، وقد أظهرت حفريات دورا أيضاً عدة تماثيل فخارية، منها تماثيل لربة السعادة، وهي تحمل بوق الخصب، وصدرها مغطى بثوب معلق على كتفها، ومنحدر على قدميها، وتماثل للربة أرتميز يظهر أنها كانت ممثلة وهي تحمل قوسها⁽¹⁾.

3- مدينة لاوداكية (اللاذقية):

تقع لاوداكية على الشاطئ الشمالي الشرقي للبحر المتوسط إلى الجنوب من سلوقية بيرييه وشمال نهر الكبير الشمالي⁽²⁾ وقد اتفق المؤرخون على أن سلوقس أنشأ هذه المدينة هذه المدينة تكريماً لوالده لاوديكي، ومن المرجح أنها أقيمت في موقع قرنتين فينيقيتين هما رمانثا (Ramantha) ومازابدا (Mazabda)⁽³⁾

ومن أهم المكتشفات الأثرية في لاوداكية تماثيل (فينوس بثوبها المبتل) (الشكل 4) والذي يمثل ربة الجمال متدثرة بثوب فضفاض مبتل ملتصق بجسمها يكشف عن مفاتنه، تزينه ثنيات مؤلفة من خطوط مختلفة الأطوال والأشكال⁽⁴⁾ حيث يعتبر من أضخم الأمثلة النحتية الهلنستية في متحف دمشق⁽⁵⁾، كما اكتشف في اللاذقية قسم من واجهة تابوت رخامي نحت عليه سبع صور بارزة تمثل أسطورة (بسيشة) و(إيروس) (الشكل 5) الذي

(1) عبد الحق، سليم عادل: الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، ص204.

(2) العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين، ص326.

(3) Granger.J.d: The cities of Seleukid Syria,Oxford,1990,p.111.

(4) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص22.

(5) بهنسي، عفيف: المرجع السابق، ص164.

يحررها من سجن الجسد ويعرج بها إلى مملكة الأولمب وعالم الخلود، ففي جهة اليمين تبدو ربة نصف عارية تضع يمانها على كتف إيروس العاري، وفي الوسط تبدو ربة نصف عارية تضع يمانها على كتف إيروس العاري، وفي الوسط تبدو الربة تقترب من ملاك يدها إلى الورا وخلفه ربة متدثرة بملابس فضفاضة وقد وقف خلفها ملاك مجنح عار يسند رأسه بقبضة يمانه ويعبر وجهه عن الذهول والشروء، وقد وقف أمامه حيوان صغير، ويحيط بهذا المشهد زخارف ذات أوراق نباتية⁽¹⁾

4- مدينة أفاميا:

تقع مدينة أفاميا على بعد واحد وخمسين كيلو متراً شمال غربي حماة ويمر بالقرب منها وإلى الغرب نهر العاصي على بعد ثلاثة كيلو مترات، وقد أقيمت في موقع قرية قديمة تسمى فارناك (Pharnak)، وكان يوجد في هذا الموقع مستعمرة للمحاربين القدماء، أطلق عليها اسم (بللا) على اسم العاصمة المقدونية، وقد أقام سلوقس هذه المدينة تكريماً لزوجته الفارسية (أباما)، وهي واحدة من ثلاث مدن حملت اسم هذه الزوجة، وترجع أهمية هذه المدينة إلى أنها قاعدة عسكرية مهمة للجيش السلوقي⁽²⁾، ويذكر استرابون أنه كان فيها لسوقس ثلاثمائة جواد وثلاثون ألف فرس وخمسمائة فيل هندي⁽³⁾ وقد تمتعت أفاميا في العصرين السلوقي والروماني بقدر من الأهمية لا تفوقه إلا أهمية إنطاكية. ولكن على الرغم من الأهمية التي تمتعت بها مدينة أفاميا في العصر السلوقي فإن الحفائر التي أجريت في موقعها في العصر الحديث، لم تسفر إلا عن العثور على آثار قليلة ترجع في غالبيتها إلى العصر الروماني، كما عثر على بقايا معبد للإله زيوس يُعتقد أن تاريخه يرجع إلى العصر الهلنستي⁽⁴⁾ وقد عُثر في أفاميا على تمثال للروح (بسيشة) (الشكل 6) في صورة طفلة صغيرة يبيض وجهها بمعاني الألم الصارخ

(1) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص 26.

(2) سارة، خليل: المرجع السابق، ص 130، انظر أيضاً: كمال، حسن: تاريخ الفن والعمارة من العصر الكلاسيكي حتى نهاية العصور الوسطى، ط 5، منشورات جامعة دمشق 1998-1999م، ص 98

(3) Strabon: Geography.Tr: H.L JONES L.C.L 1966,16,2,10.

(3)

(4) سارة، خليل: المرجع السابق، ص 131.

والحزن الدفين⁽¹⁾ وهي جالسة على قاعدة شبه مستطيلة وقد ثنت ساقها اليمنى وجعلت من ذراعها الأيسر دعامة لها، ورأسها مرفوع وخداها ممتلئان وعيناها تتجهان إلى الأعلى كأنها تستعطف الأرباب في أن ترحمها وهذا التمثال من المرمر الأبيض وهو منحوت بإتقان وأسلوبه واقعي وقد توخى النحات فيه إظهار الانفعال والتهيج بصورة مسرحية وهو محفوظ في المتحف الوطني بدمشق⁽²⁾

لقد أخذ الانفعال النابض يميز كل عمل فني ويعتبره جزءاً من جماله حتى أنه اعتبر كل عمل لا انفعال فيه ليس سوى عمل صناعي عادي لا قيمة فنية له، فصارت الآلهة نفسها تبدو في تماثيلها في حالات الألم بعدما كانت محاطة بالجلال، وهذا ما يذكرنا بقول (أفلاطون) أن ((الروح (بسيشه) تهبط من قصرها العلوي إلى سجنها الأبدي قصرها (المسحور)) وهكذا فقد تبدل المثل الأعلى للفن، وأخذ الإنسان يهتز ألماً، ويتأثر بالعاطفة، وبدأ الإنسان يقتبس مواضيع روائعه الفنية من النفس التي عصف بها الحب، ويعبر عن نزعاتها ومشاعرها وعواطفها وحالاتها. ويهتم بالتعبير الرمزي الذي جعل في (بسيشه) مفهوم الروح وعذابها في سجنها الجسدي وطموحها إلى عالم الخلود⁽³⁾.

5- المنحوتات في أماكن متفرقة من سورية:

- مدينة حماه:

اكتشف في حماه تمثال رخامي صغير يمثل سيدة واقفة وتمدثرة برداء فضفاض طويل ينسدل من رأسها ويغطي كتفيها ويديها ورجليها، وإن حركة يدها اليمنى وحركة رجلها اليسرى جعلت للرداء خطوطاً متموجة جميلة، كما أن حركة اليد اليسرى أحدثت في الرداء خطوطاً شاقولية متوازية، وأبدع الفنان في ملامح الوجه المعبرة، وشعرها المتموج بشكل متناظر، ويعتبر هذا التمثال من روائع الآثار الفنية التي يزهو بها المتحف الوطني بدمشق، ويعود إلى العصر الهلنستي ويمثل (اسبازيا) (الشكل 7) الشهيرة حسب رأي بعض

(1) بهنسي، عفيف: تاريخ الفن والعمارة، ط6، منشورات جامعة دمشق، 1997-1998، ص164.

(2) كمال، حسن: المرجع السابق، ص104.

(3) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص25، 26.

مؤرخي الفن⁽¹⁾. وقد وجدها في حماه العالم الأثري (إنغولت) خلال حفرياته، ونسبها إلى القرن الثاني الميلادي. وهي تمثل نسخة من أثر أصلي يقال إنه من صنع النحات الإغريقي الشهير فيدياس في زمن بريكلس⁽²⁾ وإذا كان الفنان قد بحث عن الجمال المثالي في المرأة العارية ونصف العارية، فقد بحث عنه أيضاً في المرأة المتدثرة بملابسها. فقد اكتشف في حماه تمثال برونزي يمثل ربة الخصب متدثرة بثوب يعلوه رداء ينسدل طرفاه على ذراع يدها اليسرى التي تحمل قرناً مملوء بالفواكه رمزاً للخصب. وتلتفت إلى اليمين بنظرات فيها أجمل التعابير. كما اكتشف في حماه تمثال كبير (حساء حماه) (الشكل 8) يمثل سيدة واقفة متدثرة بثوب طويل يعلوه رداء يلف جسمها وينسدل طرفه على كتفها الأيسر ويدها اليسرى، وقد برزت يدها اليمنى لتمسك بها أحد أطراف رداؤها الذي تشكلت فيه ثنيات منحنية جميلة، ويزين أسفل عنقها طوق جميل له ميدالية أمامية، وفي أذنيها قرط بدیع يعبر عن مدى ميل الشرقيات إلى الحلي، ويعبر وجهها عن أسمى المشاعر الإنسانية. والجدير بالذكر أن الفنان استخدم اللون الأحمر للملابس⁽³⁾.

واكتشف في حماه أيضاً تمثال رخامي يمثل (فينوس) ذات شعر مضافور، تتحدر ضفائره إلى الكتفين، لها عنق طويل، ووجه مثلث الشكل وجبهة عريضة، وجسم نحيل في أعلاه ينحسر الرداء عنه فتبادر إلى ستر ثديها الأيسر بينماها ومسك طرف رداؤها ببسراها. وفي منطقة سلمية اكتشف تمثال رخامي يمثل اكتشف تمثال رخامي يمثل (أفروديت) تستر بينماها ثديها الأيسر وتمسك ببسراها طرف رداؤها الذي انحسر عن جسمها مما جعل وجهها يعبر عن الانفعال والتأثر.

- مدينة حمص:

اكتشف في مدينة حمص تماثيل رخامية صغيرة تمثل فينوس عارية، تذكرنا بتمثال (فينوس) دوكنيد، إذ أنها تبدو عارية وواقفة تستند على رجلها اليسرى وتنتهي رجلها اليمنى

(1) زهدي بشير: نفس المرجع، ص22، 21.

(2) عبد الحق، سليم عادل: كنوز متحف دمشق الوطني، مطبعة الترقى، دمشق، 1959، ص23.

(3) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص25.

وتبادر إلى ستر جسمها بيدها اليسرى وهي تنظر إلى اليسار كما لو كانت تخشى أن يراها أحد وقد مال كتفها الأيسر قليلاً مما أعطى لوضع جسمها تعبيراً عن الحركة الواقفة وقد وقفت إلى يساره إيروس، ويعتبر هذا التمثال من روائع فن النحت المحلي ومن أجمل تماثيل فينوس التي تعبر عن الجمال المثالي للمرأة، أضف إلى ذلك التمثال الرخامي الذي تبدو فيه فينوس وقد انحسر رداؤها عن القسم العلوي من جسمها فبادرت إلى ستر صدرها ببسراها ومسك رداؤها بيدها بحركة فيها الرشاقة، وتمثال مماثل تبدو فيه فينوس وقد انحسر رداؤها عن جسمها فسترت بيدها الأيسر وأمسكت ببسراها طرف رداؤها⁽¹⁾ كما عثر على تمثال يمثل أسطورة ليدا⁽²⁾ وهو يمثل الربة واقفة وقد انحسر رداؤها عن جسمها فكشف عن مفاتن الجمال المثالي للمرأة فأمسكت طرفه ببسراها ووقفت إلى جانبها (إوز) يداعب طرف الرداء وقد أبدع الفنان في إبراز تعابير الوجه ذي النظرات الشاردة الناطقة عن المخاوف الباطنية، وجعل صفائر الشعر تتساب إلى الكتفين واكتشف في حمص تمثال رخامي يمثل فتاة متدثرة بثوب وراء تستند على رجلها اليمنى، وترفع يدها اليسرى، وتقبض في يسراها على تفاحة ويدل هذا التمثال على مدى حرص الفنان على إبراز ثنيات الملابس ليجعل منها عناصر جمالية ذات وحدة جمالية.

وفي الرستن اكتشف تمثال رخامي يمثل (أفروديت) عارية تذكرنا بتمثال (فينوس دوكنيد) تستر جسمها بيدها، ونمسك رداءها ببسراها لتلقي به جانباً وتقوم بالاغتسال الذي يجدد سحر تأثيرها، وقد ظهر شعرها الجميل، تتفرع منه ضفيران قصيرتان تزنان الكتفين، وارتسمت على وجهها ملامح الذهول، وظهر جسمها بنسبه خير ممثل للجمال النسائي، واكتشف في الرستن تمثال رخامي يمثل (أفروديت) تستر بيدها الأيسر وتمسك ببسراها طرف رداؤها الذي انحسر عن جسمها مما جعل وجهها يعبر عن الانفعال والتأثر، واكتشف في (تليبيسة) تمثال مماثل لربة تبدو واقفة تمسك ببسراها طرف رداؤها الواسع له ثنيات عديدة جميلة، وقد وقف على كتفها الأيسر طفل صغير. واكتشف في تليبيسة أيضاً تمثال برونزي صغير يمثل فينوس مشوكة القد عارية الجسم تستر نفسها

(1) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص 19-21.

(2) بهنسي، عفيف: المرجع السابق، ص 164، 163.

بيدها اليسرى وتستند على رجلها اليسرى وتثني ركبتيها اليمنى قليلاً إلى الأمام بحركة فيها الرشاقة، وتلتفت إلى اليسار بنظرات شاردة ويبدو شعرها كهالة جميلة.

- وأخيراً اكتشف تماثيل متعددة جنوب سورية ففي صلخد اكتشف تمثال برونزي صغير يمثل (فينوس) واقفة عارية تمسك بصفائر شعرها المناسب على كتفيها كما لو كانت تجففه، وقد أبدع الفنان في إبراز جمال المرأة المثالي، وتعابير وجهها، واكتشف في خسفين تمثال برونزي صغير يمثل (فينوس) واقفة عارية تستر جسمها بيسراها وترفع يدها اليمنى إلى الأعلى، وقد زين عنقها بطوق ذهبي، ومعصم كل من يديها بسوار، وكل من رجليها بخلخال، وفي (الزوية) اكتشف تمثال برونزي صغير يمثل الربة (فينوس) عارية الجسم تستر جسمها بيسراها، وتضم إلى صدرها يدها اليمنى، وتستند على رجلها اليسرى وتثني ركبتيها اليمنى قليلاً إلى الأمام، وتعبّر نظراتها عن أنبل المشاعر وأجمل التعابير. كما اكتشف تمثال آخر مماثل، تبدو فيه (فينوس) وقد انحسر رداؤها عن القسم العلوي من جسمها فأخذت تستر بأصابع يدها جسمها الذي يتميز بجمال النسب، ويدل على مدى ما وصل إليه الفنان في ميدان الإبداع الفني⁽¹⁾.

- الخاتمة:

مع نشوء إمبراطورية الإسكندر الكبير والممالك الهلنستية تغيرت شروط الحياة الاجتماعية الإغريقية وكان لذلك أكبر الأثر على الحياة الفنية ، فظهرت مدارس فنية في

(1) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص24،22.

إنطاكية والإسكندرية وغيرها تولت مصير الفن وفتحت أمامه آفاقاً جديدة، بعد أن احتك بأرض الشرق وعقلية أهله وعواطفهم، وعلى الرغم من أن التنقيبات الأثرية في المدن السورية الهلنستية ما تزال في مرحلتها الأولى، يمكننا القول بوجود مدرسة سورية هلنستية في النحت، كانت تعتمد على إنتاج إنطاكية وغيرها من المدن الهلنستية، وقد استفادت هذه المدرسة من نظريات الفنان ليزيب الذي رافق الاسكندر لدى مروره في سورية ومن آراء غيره من الفنانين ك(برياكزيس)، وابتدعت مبادئ جديدة، كان لها أثر كبير في توجيه النحت الروماني في عصر بومبي، وتتلخص هذه المبادئ في نسب القامات الطويلة وفي تعرية الرباط وجعل أجسامهن ذات لحوم مكنتزة وممتلئة والإغراق في إظهار معالم التهيج والانفعال على الوجوه. وبالرغم من احتقار الشرق للعري، إلا أن الفنان السوري في ذلك العصر قد تأثر بفكرة الفنان الإغريقي وروائع الفن الإغريقي فأخذ يحاول الوصول إلى إيجاد نموذج أعلى للجمال المثالي للمرأة. حيث ترك الفنان السوري في العصر الهلنستي روائع فنية تعتبر من أجمل ما أبدعه الفن السوري عبر التاريخ لما تتميز به من جمال المعنى والصورة والمضمون مما جعل الفنانين المعاصرين يعودون إليها ويعتبرونها نماذج جديرة بالتأمل والدراسة لأنها بمثابة مفاخر للفن، ومظهر من مظاهر الفكر والحضارة وسبيل للإطلاع على حقيقة الجمال الذي بدا بأروع صوره في تماثيل أفروديت وحسنا وحماه واسبازيا وذات الرداء المبتل وغيرها من روائع الفن الهلنستي في سورية التي عكس فيها الفنان أنبل المشاعر وأجمل التعابير، كما أبرز الصورة المثالية للجمال النسائي فكانت منحوتاته الفنية خير مثال عكس من خلاله مدى التأثير والتأثير والأخذ والعطاء بين الحضارات الشرقية والحضارة الإغريقية.



الشكل(1): تمثال ربة السعادة لمدينة أنطاكية (انظر: سليم عادل عبد الحق: الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى، دمشق، 1950، اللوح38)



الشكل(2): تمثال أفروديت وبان وإيروس، وجد في غرفة من بناء شيده التجار السوريون في مدينة(ديلوس) محفوظ في متحف أثينا الوطني(انظر: سليم عادل عبد الحق، الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، اللوح41).



الشكل(3):تمثال أفروديت وهي تضع قدمها على ظهر سلحفاة وجد في دورا أوروبوس(انظر: سليم عادل عبد الحق، الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، اللوح 41



الشكل(4) تمثال ذات الرداء المبتل وجد في اللاذقية(انظر سليم عادل عبد الحق: كنوز متحف دمشق الوطني اللوح 39



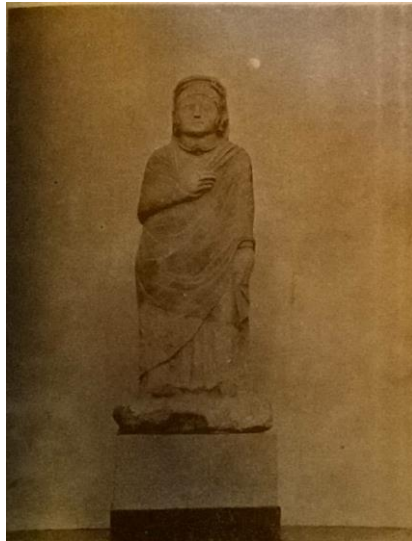
الشكل (5): مقدمة تابوت عليه مشهد بيسيته وإيروس (انظر بشير زهدي: الفن الهلنستي والروماني في سورية، ص 74)



الشكل (6): تمثال بيسيته من المرمر وجد في حفريات أفاميا محفوظ في متحف دمشق (انظر: سليم عادل عبد الحق: الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، اللوح 40)



الشكل(6): تمثال اسبازيا أو ألبينيسه. وجد خلال تنقيبات بعثة(انكولت) الدانيمركية في مدينة حماه (محموظ في متحف دمشق) (انظر: سليم عادل عبد الحق: الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى ، دمشق، 1950، اللوح 17.



الشكل(6): حسناء حماه من العصر الهلنستي (انظر: بشير زهدي: الفن الهلنستي والروماني في سورية، دمشق، ص 70.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر الكلاسيكية :

- 1) Ammianus Marcellinus: Tr, John C. Rolf L. C. L, 1972
- 2) Libanius, Antiochikos: Selected works, tr. A. F Norman. L.C.L, 1969.
- 3) Strabon: Geography. Tr: H.L JONES L.C.L 1966

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- 1) Granger, J, d1990- The cities of Seleukid Syria, Oxford.

رابعاً: المراجع العربية :

1) داوودي، جلافليل، 1967 إنطاكية القديمة. ترجمة إبراهيم نصحي، القاهرة.

خامساً : المراجع العربية :

- 1) بهنسي، عفيف 1997-1998 تاريخ الفن والعمارة. ط6، منشورات جامعة دمشق.
- 2) زهدي، بشير، د.ت الفن الهلنستي والروماني في سورية، دمشق.
- 3) سارة، خليل، 2008-2009 تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق.
- 4) العابد، مفيد رائف، 1993م سورية في عصر السلوقيين، دار شمال للطباعة والنشر، دمشق.
- 5) عبد الحق، سليم عادل، 1959 كنوز متحف دمشق الوطني، مطبعة الترقى، دمشق.
- 6) عبد الحق، سليم عادل 1950 الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى، دمشق.
- 7) فرح، أبو اليسر، 2002 الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة.
- 8) كمال، حسن، 1998-1999م تاريخ الفن والعمارة من العصر الكلاسيكي حتى نهاية العصور الوسطى، ط5، منشورات جامعة دمشق.

